بين تفاسير الجد الأعلى
والخطاب التوراتى للحفيد الأدنى ! (*)

اكتمل بالمقال الثانى بأهرام (٥/١٥) - التعقيب على الكتابين اللذين وضعهما الواعظ جورج بوش الجد الأعلى، " محمد مؤسس الدين الإسلامى " (١٨٣٠)، و " وادى الرؤيا.. فى تفسير رؤيا حزقيال وإحياء رميم عظام إسرائيل " (١٨٤٤). هذان الكتابان اللذان يكشفان عداءه للإسلام ورسوله، وتبشيره فيهما بالتجمع اليهودى فى فلسطين، انتظاراً للمجيء الثانى للمسيح.. فى ختام هذا المقال الثانى الذى كان امتداداً لمقال سابق يعرى هذا الفكر الملبوس، قلت بالحرف : " ليس صعباً على أى مراقب أن يربط بين هذا الفكر القديم الملبوس، وبين عبارات قيل إنها أفلتت من الحفيد بغير عمد - عن حرب صليبية جديدة، وبينها وبين سياسات تتجسد كل يوم فى اتجاه لا تخطئه عين، ولا يمكن أن تعزى

---

* الأهرام ٢٠٠٨/٥/٢٩

لانفلاتة غير مقصودة، فآية هذا القصد - المشاهد الجارية في إطار مخطط شامل ينفذ على خطوات بدءاً من أفغانستان، وتثنية بالعراق، وتثليثا بخطوة أخرى لم يعد التدبير لها خافيا، ضمن رؤية منسوبة لإدارة ما يسمى بالمحافظين الجدد أو السلفية المسيحية الصهيونية التى تبشر بأن من أمارات المجيء الثانى للمسيح، تحول اليهود إلى المسيحية، وتجمع الجميع فى فلسطين ! فهل انكشف المستور وتجلى المراد القديم الممدود من هذا الفكر الملبوس " ؟!!

لم تكد تمضى سويعات على نشر هذا المقال (٥/١٥)، حتى أتحفنا جورج بوش الحفيد الأدنى بالدليل الدامغ على صدق هذا التحليل، حين وقف (٥/١٦) ليخطب خطابا توراتيا عجباً، مليئاً بالنصوص والقصص التوراتية، فى احتفاليته مع إسرائيل بذكرى مرور (٦٠) عاما على زرعها بأرض فلسطين، زرعاً مقرونا بكل وسائل وأسلحة وحيل وأدوات تفريغ فلسطين من شعبها، بكل أنواع الإبادة، ومعها التهجير الجبرى لمن يستطيع أن ينجو من حمم الموت بحياته !

فى خطابه التوراتى الذى نقلته المصادر، وبثته الفضائيات، بدا جورج بوش : الحفيد الأدنى، حاخاما يهودياً من الطراز الأول على حد تعليقات المعلقين.. الذين أدهشهم فرط استخدامه فى خطاب سياسى فى القرن الواحد والعشرين، لنصوص وقصص توراتية ترجع إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة.. ولو عرفوا ما كان من أمر جورج بوش الجد الأعلى الواعظ ومدرس العبرية، وكتابيه الملبوسين، لما دهشوا من هذه " العظة " التوراتية التى ألقاها الحفيد الأدنى أمام الكنيست الإسرائيلى، وتواصل فيها تواصلاً مشهوداً للعالم كله مع جده الأعلى وأغلاطه

التفسيرية للمرائى أو المنامات والأحلام المروية بالعهد القديم إبان الأسر البابلى من ستة قرون قبل الميلاد !

أكثر من العظة التوراتية التى ألقاها الحفيد الأدنى، أنه طفق يقول فيها للإسرائيليين، فى مظاهرته الاحتفالية، إنهم لو واجهوا شيئاً فلن يكونوا فقط (٧) ملايين، حسب تقديرات سيادته للتعداد الإسرائيلى، وإنما سيكونون (٣٠٧) ملايين.. لأن الشعب الأمريكى كله، سوف يكون معهم !

دعنا من وهم الرئيس الأمريكى أن بمكنته وهو يتأهب للمغادرة. بل وهو فى الحكم، أن يجبّه ويحشد كل الشعب الأمريكى وراء ما يريده.. ودعنا من العظة التوراتية، وإيمانات السيد الحفيد الأدنى المتصلة المتواصلة مع أغلاط تفاسير الجد الأعلى.. ودعنا من خلط الدين بالسياسة، أو السياسة بالدين، وخيبة أن يتحدث رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الحديث المتنطع وهو فى قلب المحيط العربى، وعلى أعتاب زيارات بعد ساعات لأكثر من دولة عربية بالمنطقة، وعليه من باب الذوق على الأقل.. ألا يحرجها، فإن فات الذوق، فظنى أنه كان عليه على الأقل أن يتحوط بلغة السياسة لعدم إفشال خطابه مقدما بهذه الدول التى عاد من بعد ليجاوز فى خطابه فيها وإليها كل مألوف جرت وتجرى به الأعراف والتقاليد السياسية والدبلوماسية !!!

يبدو أن العظات التوراتية أخذت الحفيد الأدنى بعيداً عن مقومات الخطاب السياسى، وضوابط الدبلوماسية فيه، حتى لم يجد الرئيس المصرى بُدًّا فى شرم الشيخ من أن يغادر القاعة قبل خطاب الرئيس الأمريكى الذى

عُلم مقدما أنه يجافى الذوق والحس السياسى، ويخالف الأعراف فى مساسه الثقيل بسياسات الدول !

لا ندهش بعد ذلك، ما دامت العظة توراتية، من ألاّ يلتفت الحفيد الأدنى وهو يهاجم محاولات إيران للتخصيب، أنه يتحدث من قلب إسرائيل التى تملك ترسانة نووية كافية لتدمير نصف العالم، فكيف لا يرى فى ذلك شيئا، بينما يتوعد من داخل الاحتفالية " الإسرأمريكية " بأن السكوت على إيران خيانة للأجيال المقبلة !

ترى ماذا يرى الحفيد الأدنى فى شأن الأجيال الفلسطينية الحاضرة، ودعنا من المقبلة ؟!.. هل رأى ويرى أشلاء الأجساد الممزقة تحت وابل القنابل ودانات المدافع ؟!.. هل رأى ويرى العمائر التى تسويها الجرافات بالأرض ؟!.. هل رأى ويرى الأمهات الثكالى والأطفال اليتامى ؟!.. هل يدرك ماذا فعله ويفعله بأهل فلسطين - الجدار العازل الذى قضت محكمة العدل الدولية بإزالته ؟!.. هل يحس بما تمتلئ به تباعاً عناقيد الغضب ؟!

فإن فاته هذا كله، فكيف يعطى لنفسه الحق فى أن يكون ناصحاً أمينا حريصا على من تعاديهم سياساته وتنسف حقوقهم وتقوض حاضرهم ومستقبلهم ؟!.. ما منبع هذا الحرص إن كانت العظة التوراتية قد ملكت عليه أمره، فلم يعد يرى سواها، حتى يفرط منه، عفوا أو قصداً، وهو يبشر بشارة كاذبة بالحل، أنه : " لا يمكن أن تجبر دولة على المضى قدما فى التفاوض " ؟!.. فإذا كان هذا هو المنظور الأمريكى، فما علة " الوصايا " المفروضة أو المروم فرضها فى منطقة باتت حبلى بمظالم وازدواجيات جرأت المحتل أن يصف الجلاء بأنه تنازل، فإذا كان الجلاء تنازلا، فبماذا يُسمى الاحتلال ؟!

لقد رأيت فى قراءتى وتحليلى للكتابين الصادرين عن جورج بوش الجد الأعلى، الواعظ مدرس العبرية، ما لا يقف عند حد كراهة الإسلام ورسوله، وإنكار الدين والنبوة، بل استشففت فيهما جذور فكر ملبوس يمثل أصول عقيدة الحفيد الأدنى فى التجمع اليهودى، ومعه المسيحى، فى فلسطين انتظاراً لما أسماه الجد الأعلى - المجيء الثانى للمسيح عليه السلام. رأيت الجد الواعظ، مدرس العبرية، يفسر رؤيا حزقيال الراجعة إلى القرن السادس قبل الميلاد، فيستخلص منها هَبْر فلسطين من شعبها الذى راح الحفيد الأدنى يحتفل - عام ٢٠٠٨ بعد الميلاد - بعيد ميلاد اغتصابها. يترك جورج بوش الجد الأعلى السبى البابلى الذى ظهرت فيه وعنه وله هذه الرؤيا أو الحلم أو المنام، ويجتزها من بشارات الخلاص من السبى البابلى، ويسحبها أكثر من ٢٥٠٠ سنة ليتنبأ بأن المسلمين سيرتدون عن الإسلام إلى المسيحية، وإليها أيضا سيتجه اليهود، ليتجمعوا ومعهم أبناء المسيحية الصهيونية فى فلسطين !

لا غرابة إذن فى النصوص والقصص التوراتية التى استخدمها الحفيد الأدنى فى خطابه بإسرائيل، فهى بضاعة موروثة عن الجد الأعلى، تكشف أن عبارة الحرب الصليبية التى أفلتت منه، أشبه - وإن اختلفت الظروف - بالعبارة التى أطلقها الجنرال اللنبى على أعتاب القدس : " الآن قد اكتملت الحروب الصليبية " !.. لم تكن إذن عبارة جورج بوش الحفيد الأدنى عن الحرب الدينية المنتظرة مجرد زلة لسان أو انفلاتة غير مقصودة، بل إن المشاهد الجارية لسياسات الرئيس الأمريكى تؤكدها يوما وراء يوم.. غزو أفغانستان، ثم العراق، وها هى الخطط تحاك ضد سوريا وإيران. هذا المخطط هو عقيدة المحافظين الجدد أو السلفية المسيحية

الصهيونية التى ينتمى إليها جورج بوش وتبشر بأن من أمارات المجـــىء الثانى للمسيح، التجمع اليهودى فى فلسطين !

لا غرابة إذن، ولا دهشة على الخطاب التوراتى للحفيـد الأدنـــى جورج بوش وارث هذا الفكـــر الملبوس، ولكن الحسرة هى على منطقة لا تزال عاجزة عن امتلاك مقاديرها، مرغمة أو راغبة فـــى فـــتح أذرعهـــا بالأحضان لأعدى أعدائهـــا وصاحب الخطـــر الـــداهم علـــى حاضـــرها ومستقبلها !